**المحاضرة الأولى/ اللسانيات؛ مفهومها/ موضوعها/ ومجالاتها:**

الهدف العام: أن يتمكن الطالب بعد حضور المحاضرة من تحديد مجال اللسانيات وفروعها.

الهدف الخاص: أن يتعرف الطالب على موضوع اللسانيات والعلوم القريبة منها أو التي تندرج تحتها والتي قد تعرف باسمها وهي مختلفة عنها.

الهدف الاجرائي: أن يتمكن الطالب من التفريق بين مجالات هذه العلوم: اللسانيات، الفيلولوجيا، علم اللغة، فقه اللغة.

**مقدمة:**

تعد اللغة أهم خاصية إنسانية لذلك حظيت بالاهتمام منذ فجر التاريخ، فنظر إليها العلماء تارة على أنها وعاء للفكر، وفي أحايين أخرى سابقة له، كما اهتموا بالاختلافات اللسانية بين اللغات لسببين هامين:إمّا تحت دافع قومي لإبراز تفوق لغاتهم على بقية اللغات، كنوع من الاحتفاء بالفولكلور الوطني لكثير منهم مثل: ما فعل الألمان، وإما رغبة منهم في معرفة أصل اللغات لتحديد أقدمها بحثا عن اللغة الأم وهو ما قام به الفيلولوجيون في أروبا ، فكانت الدراسات تاريخية أو مقارنة باستثناء عمل النحاة الألمان الذين مالوا إلى وصف الأحداث اللسانية، وعنهم أخذ فردينان دو سوسير الدقة والصرامة العلمية، فنادى باستعمال المنهج الوصفي في الدرس اللساني محددا موضوع اللسانيات، مبشرا بظهور البنوية.

لكن: ما اللسانيات؟ وما موضوعها؟ وما الفرق بينها وبين الفيلولوجيا؟ وهل الفيلولوجيا هي "فقه اللغة" عند العرب؟ وما الفرق بين اللسانيات وعلم اللغة؟

أولا/ ماهية اللسانيات:

علم اللسان أو اللسانيات ترجمة للمصطلح الأجنبي(Linguistique)بالفرنسية و(Linguistics) بالإنجليزية، وقد اعتمد هذا المصطلح من طرف الهيئة العلمية العربية عند اجتماعها في تونس، لكن مازالت بعض التسميات متداولة كترجمة له، ومن بينها: الألسنية، وعلم اللغة، واللسنيات، واللغويات وغيرها كثير، سنتكلم عنه في مناقشتنا لترجمة المصطلح.

وللإشارة فقد ظهر هذا اللفظ في ألمانيا (Linguistik) لكن لفظ (Sprachwissencechaft)هو أقدم منه وأكثر استعمالا في ألمانيا، وقد استعمل المصطلح في فرنسا عام (1826)، وفي إنجلترا ابتداء من عام (1855) والكلام لأستاذنا (عبد الرحمن الحاج صالح).

واللسانيات كما يعرّفها (أندري مارتيني)[[1]](#footnote-2)\* هي " الدراسة العلمية للغة البشرية، ولا يقال على دراسة ما إنها علمية إلاّ إذا اعتمدت على ملاحظة الأحداث وامتنعت عن اقتراح اختيار ما ضمن تلك الأحداث باسم بعض المبادئ الجمالية أو الأخلاقية. فالعلمي يقابل المعياري. وإنّه لمن الأهمية بمكان أن نلحّ على الخاصية العلمية وليس على الخاصية المعيارية لهذه الدراسة."[[2]](#footnote-3)

واللسانيات إذ تدعي لنفسها العلمية فقد اتخذت المنهج الوصفي سبيلا لمعرفة الظاهرة اللسانية عن قرب ومن الداخل، اعتمادا على الملاحظة، والتحليل والاستنتاج، بعيدا عن المعيارية التي تعتمد إطلاق الاحكام لاعتبارات خارجة عن الظاهرة اللسانية وهذا ما قصد إليه (أندري مارتيني).

وقد استعمل العرب عبارة "علم اللسان" أو "علوم اللسان" قديما وحديثا وأطلقوهاعلى هذه الدراسة، وهي خاصة باللسان تمييزا لهاعما هو خارج عنها، وقد ورد المصطلح في عديد المؤلفات العربية مثل" المخصص" لابن سيده، و"المقدمة" لابن خلدون، و"احصاء العلوم" للفارابي، و"المقتضب" للمبرد كما استعملها الإمام الشافعي.

ويعد تعريف الفارابي[[3]](#footnote-4)\* له من أهم النصوص العربية التي بلغتنا عن هذا العلم إذ يقول في الفصل الأول المعنون بـ " في علم اللسان" من كتابه "إحصاء العلوم": "علم اللسان في الجملة ضربان: أحدهما –حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلم ما يدلّ عليه شيء منها. والثاني علم قوانيين تلك الألفاظ."[[4]](#footnote-5)حيث يشمل علم اللسان عنده ما يحفظ الألفاظ ودلالتها ويقصد به: المعجم بشكل عام، وعلم القوانيين ويقصد به: كل العلوم العربية التي ظهرت للبحث في دقائق اللسان العربي من: علم أصوات، وصرف، ونحو، وبلاغة، وعروض وغيرها من علوم العربية.

وقد تحدث الفارابي عن سبعة فروع لعلم اللسان، في حين تحدث (ابن خلدون)[[5]](#footnote-6)\* عن أربعة علوم تندرج تحت ما أطلق عليه" علوم اللسان العربي" وهي: علم النحو، وعلم اللغة، وعلم البيان، وعلم الأدب" وسنعود إلى الحديث عنها في سياق آخر بإذن الله.

ونشير فيما يتعلق بتأسيس " اللسانيات " إلى أن كثيرا من الباحثين غربا وعربا كانوا قد أشاروا إلى أن (فردينان دو سوسير)[[6]](#footnote-7)\* هو مؤسس اللسانيات، وفي الحقيقة إنه قام بتوسيعها وتقنينها، لكن الدراسة كانت موجودة قبله، يقول (ميشال أريفيه) في مقدمة كتابه:" وهنا لا ينبغي القول، كما يفعل ذلك بعضهم دفعا بالصدر: إنّ سوسير هو مؤسس اللسانيات، إنّها موجودة قبله بزمن طويل في عدد من الثقافات، وفي الثقافة العربية على وجه الخصوص، لكن سوسير وجهها إلى مسالك لم يسبق لها أن سلكتها، أو إنّها كانت ستتأخر في سلوكها، وربما كان ذلك سيحدث بطريقة مختلفة لولا الأثر الذي أحدثه نشر كتاب" دروس في اللسانيات العامة عام 1916."[[7]](#footnote-8)

وما أثاره هذا الكتاب من مناقشات دفعت اللسانيات سريعا نحو التقدم والرقي والتنوع في الطروح المعرفية.

ثانيا/ موضوع اللسانيات:

حدد (سوسير) موضوع اللسانيات وهو اللسان لا الكلام في ذاته حيث " تشكل مظاهر اللسان البشري كافة مادة الألسنية: سواء أتعلق الأمر بالشعوب البدائية أم الحضارية، بالحقب القديمة أم بحقب الانحطاط. مع الأخذ بعين الاعتبار في كل حقبة ليس اللسان السليم أو لسان الفنون وحسب، بل أشكال التعبير مجتمعة."[[8]](#footnote-9) ذلك أنها تنظر في العلاقات التي تربط بين الأحداث اللسانية، باحثة عن مواضع تلاقيها وتفارقها، متناولة أهم خاصية من خصائص اللسان وهي: التبليغ.

" فاللسانيات تدرس اللسان من حيث إنّه بنية لها قواعدها وضوابط اشتغالها.وإذا كانت البنية اللغوية غير قابلة للدراسة إلاّ من خلال أمثلة ملموسة واقعية، فإن اللسانيات لا تدرس ما هو واقعي من البنية بل تبحث عن صياغة عامة للقواعد المتحكمة فيها."[[9]](#footnote-10)

فاللسانيات لا تتخذ من الكلام موضوعا لها لأن أشكاله متغيرة فهو ثانوي بالنسبة لهذه الدراسة كما يرى سوسير، بل تبحث فيما هو جوهري من اللسان وهو اللغة بعدها بنية يمكن بناء علم عليها، لذلك سميت لسانيات سوسير والمدارس التي تأثرت بها بالبنوية، لأنها تدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها وهي عبارة خُتم بها كتاب سوسير تعود إلى الناشرين، وتعني دراسة مستويات اللغة بغية فهم قوانينها الداخلية دون النظر لما هو خارج عنها وهذا هو موضوع اللسانيات.

ثالثا/ الفرق بين اللسانيات والفيلولوجيا وفقه اللغة وعلم اللغة:

تتخذ اللسانيات اللغة منظورا إليها في ذاتها ومن أجل ذاتها موضوعا أساسا لها، أي إنّ الغاية تكون المعرفة العلمية بخصائص اللغة المدروسة، اعتمادا على الملاحظة الدقيقة لبنيتها، كما تتخذ الفيلولوجيا(La philologie)اللغة موضوعا لها أيضا لكنها تختلف عن اللسانيات كونها لا تقف عند اللغة فحسب بل تتعدى ذلك إلى الاهتمام بالتاريخ الأدبي، والعادات، وشرح النصوص وتفسيرها والاهتمام باللغات القديمة، والمهجورة، والمكتوبة، وفي حين تشتغل الفيلولوجيا على المكتوب، تتخذ اللسانيات المنطوق أساسا لدرسها،وهذا لا يعني أنها لا تهتم باللغات المكتوبة، وإنما تعطي الأولوية للمنطوق لأنه أقرب إلى حقيقة الظاهرة اللسانية.

وقد ارتبط مصطلح الفيلولوجيا " بشكل خاص بالحركة العلمية التي أسسها فريديريك أغست وولف منذ عام 1777"[[10]](#footnote-11) وتهدف الفيلولوجيا إلى دراسة اللغة كوسيلة إلى غاية، وغايتها البحث في أصل اللغات للوصول إلى اللغة الأم للغات الهندوأوروبية.

وكثيرا ما استعمل الباحثون العرب مصطلح "فقه اللغة" ترجمة لمصطلح "Philologie " لأن فقه اللغة أيضا يدرس اللغة كوسيلة إلى غاية والسؤال المطروح: إلى أي مدى يمكن أن نقبل هذه الترجمة؟

صحيح أن الفيلولوجيا وفقه اللغة يلتقيان في نوع الدراسة حيث إن كليهما يدرس اللغة كوسيلة إلى غاية، لكنهما يختلفان في جملة من النقاط نجملها في الجدول الآتي:

|  |  |
| --- | --- |
| فقه اللغة | الفيلولوجيا |
| علم عربي ظهر في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي، أول من استعمله أحمد بن فارس. | علم غربي ظهر عام 1777 أول من استعمل المصطلح فريديريك أغست وولف. |
| يدرس اللغة كوسيلة إلى غاية وغايته خدمة النص القرآني. | تدرس اللغة كوسيلة إلى غاية لكن غايتها معرفة اللغة الأم للغات الهندوأوروبية. |
| يدرس المنطوق ودراسته وصفية | تهتم بالمكتوب ودراستها تاريخية مقارنة |
| فقه اللغة يدرس لغة واحدة هي العربية  حيث يبحث في أصلها وخصائصها وعلاقاتها بأخواتها السامية. | يدرس لغات عديدة |

"الفرق بين فقه اللغة والفيلولوجيا"

وهذا يعني: أنهما علمان مختلفان من حيث هدف الدراسة وغايتها، وأن فقه اللغة كمصطلح ظهر قبل الفيلولوجيا بقرون لذلك لا يمكن أن نستعمله لترجمة مصطلح (La philologie) فالأول علم عربي أصيل والثاني علم غربي وشتان بين الثقافتين.

كما عرفت الدراسات اللسانية مصطلح "فقه اللغة" ثم "علم اللغة" ولم يسهل استعمال المصطلحين جراء الخلط في فهم كل علم أو مصطلح، حيث نجد من كتب كتابا في "فقه اللغة" وهو يقصد "علم اللغة" أو العكس بالعكس وذلك لغموض المفاهيم في الأذهان، ما أدى إلى لبس بيّن لدى الطلاب عامة، ودارسي العربية خاصة والكلام لأستاذنا عبد الرحمن الحاج صالح، ونحن نسانده الرأي حيث نلفي علي عبد الواحد وافي يؤلف كتابين فيعنونهما " علم اللغة " و"فقه اللغة " ويعد أحدهما بمثابة الجزء الثاني للآخر وكأنهما واحد، يقول في مقدمة كتابه" فقه اللغة":" فمؤلفنا بمثابة الجزء الثاني من كتابنا "علم اللغة" ؛غير أننا آثرنا أن نطلق عليه اسما شاع استعماله في الموضوعات التي يعرض لها، وخاصة ما يتعلق منها باللغة العربية."[[11]](#footnote-12)

غير أن فقه اللغة يختلف عن علم اللغة في كون فقه اللغة موضوعه " البحث عن الفوارق اللغوية الناتجة عن التعارض بين الوضع والاستعمال."[[12]](#footnote-13) في حين علم اللغة هو" بيان الموضوعات اللغوية" كما يعرفه ابن خلدون وبالتالي يختلفان في كون الأول يبحث في دقائق اللغة لمعرفة أسرارها، والثاني يحفظ لها معجمها وكيانها.

وما نشير إليه كملاحظة في آخر محاضرتنا أن كثيرا من علماء العربية يترجمون أو يقابلون اللسانيات بعلم اللغة وكأنهما واحد، لكن اللسانيات في الحقيقة هي أعم من علم اللغة الذي لا يعدو أن يكون جزء منها، لأن مصطلح "Linguistique" في الغرب يقابل عند العرب ما أطلق عليه الفرابي وغيره "علم اللسان" أو "علوم اللسان" كما وصفها ابن خلدون، الذي جعل "علم اللغة" فرعا من فروعها قريبا مما نسميه اليوم "علم المعاجم" غير أنه أشمل وأعم.

وبالتالي من الضروري مقابلة المصطلح الأجنبي أعلاه باللسانيات لا اللغويات أو علم اللغة، ذلك أن مصطلح "اللسان" استعمل استعمالا عاما عند العرب في حين لم يستعمل مصطلح" اللغة" إلا على ما هو خاص وجزئي من اللسان.

رابعا/مجالاتها:

تتفرع اللسانيات إلى عدد من الفروع أهمها: علم الأصوات، وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم الدلالة، هذه فروعها باعتبار مستويات التحليل اللساني، كما تنقسم باعتبار منهج الدراسة إلى اللسانيات الوصفية واللسانيات التاريخية، واللسانيات المقارنة.

خاتمة:

ترتبط اللسانيات بعلم النفس، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع والسيميولوجيا لأنها تشترك في مجال البحث الخاص بها وهو اللغة بعدّها ظاهرة نفسية متعلقة بحياة الانسان، والجماعة اللسانية واستعمالها للعلامات، وبالتالي فاللسانيات هي همزة وصل بين كل هذه العلوم إن لم نقل قاعدتها المصطلحية، كما أنها تختلف عن علم اللغة وفقه اللغة الذين يندرجان تحتها، والفيلولوجيا التي لا تعدو أن تكون إلا مرحلة من مراحل تطورها.

1. \*- **أندري مارتيني André Martinet**: رائد مدرسة اللسانيات الوظيفية في فرنسا من مؤلفاته: اقتصاد التغيرات الصوتية (1955)، ومبادئ في اللسانيات العامة (1960).

   **ينظر** تعريفه على الغلاف الخلفي من كتابه:

   أندريه مارتينيه. **وظيفة الألسن وديناميتها**. ترجمة: نادر سراج، المنظمة العربيةللترجمة: بيروت/ لبنان/1(2009). [↑](#footnote-ref-2)
2. - أندري مارتيني. **مبادئ في اللسانيات العامة**. ترجمة: سعدي زبير، دار الآفاق.ص.12 [↑](#footnote-ref-3)
3. \* - أبو نصر الفارابي(870-950م) هو: فيلسوف وعالم عربي جليل من أهم مؤلفاته: كتابيه" الحروف" و" إحصاء العلوم". [↑](#footnote-ref-4)
4. - أبو نصر الفارابي. **إحصاء العلوم**. قدم له وشرحه وبوبه (علي بو ملحد)، دار ومكتبة الهلال: بيروت/ لبنان، ط/1(1996).ص.17. [↑](#footnote-ref-5)
5. \*- **ابن خلدون** هو: عالم اجتماعي مشهور صاحب كتاب" **المقدمة**" [↑](#footnote-ref-6)
6. \*- فردينان دو سوسير (Ferdinand De Saussure)(1857-1913): يعد أبو اللسانيات الحديثة، لساني سويسري من أهم كتبه: محاضرات في اللسانيات العامة (1916)، وإن كانت قد ظهرت مؤخرا كثير من مخطوطات سوسير لا تقل أهمية عن هذا الكتاب.

   ينظر تعريفه على الغلاف الخلفي لكتابه:

   -Ferdinand De Saussure. **Cours de linguistique générale**. Edition : TALANTIKIT : Bejaïa, 2002.  [↑](#footnote-ref-7)
7. - ميشال أريفيه. **البحث عن فردينان دو سوسير**. (2007) ترجمة (محمد خير محمود البقاعي)، مراجعة(نادر سراج)، دار الكتاب الجديد المتحدة: بيروت/ لبنان، ط/1(2009). ص. 7 [↑](#footnote-ref-8)
8. - فردينان ده سوسير. **محاضرات في الألسنية العامة**. ترجمة: (يوسف غازي ومجيد النصر)، المؤسسة الجزائرية للطباعة: الجزائر، ط/ (1986). ص.17 [↑](#footnote-ref-9)
9. - مصطفى غلفان**. في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها**. دار الكتاب الجديد: بيروت/ لبنان، ط/ 1(2010). ص.15. [↑](#footnote-ref-10)
10. - فردينان ده سوسير. **محاضرات في الألسنية العامة**. تر (يوسف غازي ومجيد النصر). ص. 11 [↑](#footnote-ref-11)
11. - على عبد الواحد وافي. **فقه اللغة**. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: مصر، ط/4(يوليو2005). ص. 5. [↑](#footnote-ref-12)
12. - عبد الرحمن الحاج صالح. **بحوث ودراسات في علوم اللسان**.ص.88 [↑](#footnote-ref-13)